الافتتاحيّة: الحيوانات

يوآف كِني

في السادس من أيلول 2019، وبعد أن نشر دمارًا غير مسبوق في جزر البهاما، ضرب إعصار دوريان مجموعة جزر في كارولاينا الشماليّة شرقي الولايات المتحدة. على أثر هذا الإعصار نشأ "تسونامي مصغّر" جرف إلى المحيط الأطلنطيّ عشرات الخيول البريّة والأبقار البريّة التي كانت تعيش في قطعان بالمحميّة الطبيعيّة لجزيرة سيدار (**Cedar Island**). بعد ذلك بأسبوعين، اكتشفت ثلاث بقرات، كانت من بين الحيوانات التي جُرفت وعُدّت من ضحايا الإعصار، في المحمية الطبيعيّة كيب لوكاوت (Cape Lookout) بعد أن استطاعت الصمود أمام الأمواج والرياح وتمكّنت من السباحة لمسافة تتجاوز الثلاثة كيلومترات. المتحدث باسم المحميّة الطبيعيّة قال للصحافيّين إنّه بعد أن وجدت الأبقار بعضها البعض عادت "لتتجوّل معًا"، ورغم تأكّده من كونها تابعة لذات القطيع من جزيرة سيدار إلّا أنّه لم يتصل مع "مُلّاكها" بعد. "هذه قصّة مدهشة"، لخّص المتحدّث بلسان المحميّة، "تخيّلوا ماذا كانت الأبقار ستحكي لو كانت تستطيع الكلام: كان هذا سيكون رائعًا فعلًا" (**Diaz and Ortiz 2019**).

بالإضافة إلى الدهشة من صمود البهائم البريّة الثلاثة في البحر، تثير الحالة المذكورة أسئلة كثيرة ومعقّدة ومتنوّعة حول الحيوانات ومالكيها: هناك في الولايات المتحدّة قطعان من الخيول البريّة، لكن- ما هي الأبقار البريّة؟ أهي أبقار ولدت في الطبيعة نتيجة تزاوج والديها؟ أم أبقار ولدت في الأَسْر نتيجة إخصاب اصطناعيّ في زرائب زراعيّة ثمّ أطلق سراحها؟ هل هناك في أيّ مكان بالعالم "أبقار بريّة" حقيقيّة تعيش بحريّة بالطبيعة من دون أيّ اعتماد على البشر؟ بأي مفهوم يمكننا أن نسمي حيوانات تعيش بمحميّة طبيعيّة، يديرها ويراقبها البشر،:"حيوانات بريّة"؟ من هم "مُلّاك" هذه الأبقار، الذين ذكرهم المتحدّث باسم المحميّة؟ ماذا كان مصير باقي الخيول والأبقار؟ ولماذا لم يجرِ البحث عنها ومحاولة إنقاذها أو العثور على جثثها، كما كان سيجري لو كان الضحايا من البشر؟ لماذا نميل للموافقة على فرضية المتحدّث أنّ البقرات لا تستطيع الكلام، رغم أنّه من الواضح بأنّ قدرتها على إيجاد بعضها "والتجوّل معًا" تتطلّب تواصلًا معيّنًا؟ وما هي المسؤولية الأخلاقيّة للبشر تجاه الحيوانات التي تصاب، بشكل مباشر أو غير مباشر، من الأعاصير الاستوائيّة، ومن النتائج المدّمرة الأخرى للأزمة المناخيّة التي تسبّبها أعمال البشريّة وإهمالها؟ وفي النهاية، وأمام كلّ جوانب هذه الأسئلة، فيما لو كان بمستطاع الأبقار أن تتكلّم معنا بلغتنا أو كان بمستطاعنا التكلّم معها بلغتها- هل كنا سنصف ما ستقوله لنا عن حياتها وعن الطريقة التي نفهم فيها حياتها ونتعامل معه بالأمر "المدهش"؟

تصبّ مثل هذه الأسئلة في صلب مجال فكريّ وبحثيّ جديد تبلوّر في العقدين الأخيرين تحت مسمّى "الدراسات النقديّة للحيوانات" (**Best et al. 2007; Taylor and Twine 2014**) (**Critical Animal Studies**). يتضمّن معنى النقديّة المذكورة في التسميّة أمرين متمازيين لكنّهما متكاملين: الأول، يعكس موقفًا نقديًا تجاه مجالات بحثيّة أقدم، "دراسات الحيوانات" (**Animal Studies**) و"دراسات الإنسان-الحيوان" (**Human–Animal Studies**)، اللذان تأسّسا على أثر "التحوّل الحيوانيّ"

في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة في سبعينيّات القرن الماضي (**Ritvo 2007**). سعى ناشطو التيّار النقديّ لدراسات الحيوان، في مسعى نقديّ يشبه النقد الذي وجهّته مفكّرات الموجة النسويّة الثانية لمفكّرات الموجة الأولى، لكشف الطرق التي قام سابقوهم من خلالها، عن قصد أو عن دون قصد، بإعادة إنتاج مباني القوّة والخطاب المناقض لمواقفهم المعلنة، وبتخليد الفصل والتقسيم المواضيعيّ والتخصّصيّ الذي يكرّس رؤية منحازة وتمييزيّة للعالم (رؤية أبويّة في السياق النسويّ، ومركزيّة إنسانيّة في السياق الحيوانيّ)، ولذلك فهي لا تمكّن من ترجمة الفكر إلى عمل وتغيير.

الأمر الثاني، مرتبط بالشكل الذي يستخدم فيه مجال الفكر والتدريس والبحث الجديد هذا أدوات التحليل وصياغة المفاهيم وخطاب النظريّة والفكر النقديّ لبحث قضايا متعلّقة بالحيوانات غير البشريّة وعلاقات القوّة بينها وبين البشر. بهذا المعنى، يجسّد الفكر النقديّ عن الحيوانيّة وعدًا كبيرًا وخطرًا كبيرًا في الوقت ذاته. ينبع الوعد المجسّد في حقيقة أنّ الحيوانات غير البشريّة لا تشاركنا في عالم الفكر والخطاب بشكل فاعل، ولا حتّى بشكل محتمل، وكونها تشكّل بالنسبة لنا-إن أعدنا صياغة أقول جياتري سبيباك- كائنات خاضعة لا تستطيع الكلام فعلًا (سبيباك 1995). وبهذا، تعكس هذه الحيوانات مفهومًا عميقًا وجوهريًا للغَيْريّة، الذي يمكن للنظريّة النقديّة استنادًا عليه أن تفكّك الذات البشريّة بشكل حادّ وأوضح من مفاهيم تفكيك نقديّة أخرى حول "الآخرين"، تمّ كشفها وتصميمها من خلال الخطاب النقديّ للماركسيّة، وما بعد البنيويّة، والنسويّة، وما بعد الاستعمار، ودراسات الإعاقات، والفكر البيئيّ، وعلم التحكّم الآلي وتيارات الواقعيّة التأمّليّة، وفكرة الغرض الجديدة في الفلسفة القارِّيّة وما إلى ذلك.[1]

أمّا الخطر المجسّد في هذا الخضوع الأخرس فينبع من أنّ عدم قدرتنا المبدئيّة على فهم السياقات الأصليّة لتواصل وسلوك الحيوانات غير البشريّة يؤدّي إلى صعوبة بنيويّة حتميّة تعيق مسبقًا كلّ محاولة، مهما كانت نقديّة وواعية، للتصريح بقول مؤكّد حول الحيوانات غير البشريّة وملّاكها. يكون التحقّق من وجود هذا التوتر بين الوعد والخطر عندما يتمّ التغلّب على محاولات الإنكار والكبت في ثقافة الغرب التوحيديّة، وحين يتمّ الاعتراف بأنّ الإنسان، على الرغم توقه إلى الألوهيّة، ليس إلّا حيوان. مهما يكن بعيدًا وغامضًا، فإنّ الآخر الحيوانيّ هو آخر داخليّ، ولذلك، فإنّ التحدي الأكبر للفكر النقديّ عن الحيوانات غير البشريّة هو في الاعتراف بالمركزيّة الإنسانيّة المعرفيّة الحتميّة لكلّ ادعاء إنسانيّ حول الحيوانيّ، من دون ترجمة هذا الاعتراف إلى مركزيّة إنسانيّة وجوديّة وأخلاقيّة وسياسيّة.

هذا التحدّي هو منطلق العدد الحالي، وكلّ واحد من النصوص التي تظهر في الصفحات التالية يقترح محاولة ما لمواجهته. تختلف النصوص عن بعضها في شكلها، وسياقها المواضيعيّ، وفرعها المعرفيّ، وطابع الادعاءات التي تطرحها، لكنّها تتشابه بكون كلّ واحد منها يسلّط الضوء على الحيوانات غير البشريّة ذاتها، وغالبًا بعناصر محدّدة لنوع حيوان معيّن، ويحلّل العلاقات المتبادلة بينها وبين البيئة الإنسانيّة التي تعيش إلى جانبها، من ناحية صلة هذه البيئة للحياة الحيوانيّة وليس العكس. تتعزّز محاولات الامتناع عن الهرميّة التطوريّة المركزيّة الإنسانيّة، المضمّنة تقريبًا في كلّ فكر إنسانيّ عن الحيوانيّ، في اختيار عنوان هذه العدد من المجلة باللغة العبريّة، إذ تتكوّن كلمة حيوانات باللغة العبريّة من كلمتين: "باعَلي حاييم"، وهي إضافة لها خصوصيّة وتضفي معاني هامّة على محتوى العدد.

كثيرًا ما أشغلت "مسألة الحيوان" **جاك دريدا**، بما في ذلك بالمقابلة الذائعة الصيت مع **جان-لوك نانسي**، التي تُرجمت لأول مرّة للّغة العبريّة خصيصًا لهذا العدد. أحد ادعاءاته الشهيرة هو أنّ تقريبًا كلّ الصعوبات المعرفيّة والمعضلات الأخلاقيّة والمظالم

1 يمكن إيجاد دليل معاصر على هذا في العدد السابق من هذه المجلّة (نظريّة ونقد 50، شتاء 2018)، لاذي خُصِّص في جزء منها في التفكير بمستقبل النظريّة النقديّة. أشارت ثلاثة مقالات إلى الفكر حول الحياة والحيوانات غير البشريّة كجزء عضويّ ومركزيّ في التيارات الثلاثة الهامّة والمؤثّرة تحديدًا في النظريّة النقديّة المعاصرة: ما بعد الإنسانيّة، التفكير البيئيّ الجديد في "عصر الإنسان" والفكر البيو-سياسيّ (فايسمان 2018؛ تمير 2018؛ ليفوفيتش 2018). مقابل هذه النظرة الحيوانيّة، المتطلّعة إلى المستقبل، من المثير التنبه بأنّه على مدار 28 عامًا من عمر مجلّة نظريّة ونقد نُشر مقالان فقط أعطيا مكانًا مركزيًا ومنحا اهتمامًا واضحًا للحيوانات غير البشريّة (بن يهويدع 2018؛ رندريا 2010).

السياسيّة المرتبطة بعلاقة الإنسان بباقي الأجناس الحيوانيّة تتجسّد في ميل معظم اللغات الإنسانيّة، وبكل تأكيد اللغات الغربيّة، للتعامل مع الغِنى والتنوّع الهائل لكلّ أجناس الحيوانات-من الأميبا حتّى الحوت الأزرق ومن ذباب الفاكهة حتّى الغوريلا- عبر استخدام اسم جماعيّ واحد، "مُفْردة عامّة"، لا تفرّق بين هذا الجنس الحيوانيّ أو ذاك. بحسب ادعاء دريدا، يتجاوز هذا "التعميم التسطيحيّ" المجال اللغويّ والزولوجيّ ليؤثّر بشكل جوهريّ على المستويات التي نفهم فيها الحيوانات غير البشريّة ونتعامل معها في الحقول القضائيّة والأخلاقيّة والسياسيّة (**Derrida 2008, 32, 34, 84**). عمليًا، يرى دريدا بأنّ الاخترال والإنقاص، المتجسدّان في فعل التسميّة التسطيحيّة هذا، هما بمثابة عنف حقيقيّ، وأنّ كلّ محاولة إنسانيّة لصياغة مفهوم الحيوانات بألّ التعريف هي حسم لمسألة الحق في التضادّ الثنائيّ بين الإنسانيّ والحيوانيّ، ونتيجة ذلك- الحق أيضًا في آليات العنف والسيطرة والاستغلال التي تستغل هذا التضاد لتبرّر نفسها (دريدا ورووديسنكو 2003 [2001]، 83).

الصيغة العبريّة لتسمية الحيوانات، التي تتكوّن، كما ذكرنا أعلاه، من دمج لكلمتين "مُلّاك" و"حياة"، هي حلّ لغويّ بسيط لكنه ناجع، يحاول هذا التعبير أن يعكس التنوّع والتعدّد الديناميكيَّيْن المطلوبَيْن على المستوى الزولوجيّ-الأُنطولوجيّ وعلى المستوى الأخلاقيّ-السياسيّ، لتجاوز المركزيّة الإنسانيّة المُضَمَنة باللغة الإنسانيّة والتعامل، في ذات الوقت وبشكل متساوٍ، مع حيوانيّة الإنسانيّ ومع عدم التجانس اللانهائيّ، المتجسّد في الاختلاف اللانهائيّ بين الحيوانات غير البشريّة[2]. كلمة "حاييم" في العبريّة (بالعربيّة: حياة) هي كلمة بصيغة الجمع ولا مفرد لها، وهذا ما يوفّر، من الأساس، مرونة وتعدّدًا للمعاني يناقضان التسطيح. بالإضافة إلى ذلك، تعبّر كلمة "حاييم" عن معنيّين في ذات الوقت: الأول، ترمز إلى الشيء العام والأكثر تجريدًا لفهم الحياة كركيزة ماديّة للوجود المشترك لكلّ الموجودات الحيّة، الثاني، تعبّر عن اعتراف مفصّل بلانهائيّة أشكال الحياة المختلفة عن بعضها البعض من ناحية زولوجيّة (حياة إنسان، حياة كلب وغيرها) ومن ناحية موضوع وسياقات مواضيعيّة (حياة نظريّة، حياة سياسيّة، حياة روحيّة، حياة جنسيّة، وحياة حب وغيرها).

مثل كلمة "حاييم"، لكلمة "باعَل" هناك، أيضًا، معنى مضاعف: يمكن أن يتطرّق معناها للممتلكات أو للملكيّة الخاصّة (مالك السيارة، مالك البيت وغيره)، ويمكن أن يتطرّق للانتماء إلى شيء مشترك أو شراكة عامة. يبدو أنّه أمام الدمج بين التنوّع البيولوجيّ-الزولوجيّ الهائل ولانهائيّة المعاني، والتداعيات والدلالات والاستخدامات التي تقدّمها كلمة "حاييم" (حياة) في كلّ اللغات الإنسانيّة، لا يمكن الحديث عن ملكية الحياة من دون استخدام معنيّي كلمة "باعل" بالعبريّة ببساطة وطبيعيّة، في الوقت ذاته وبشكل متساوٍ. هكذا، يتحوّل المزج في تسمية "باعلي حاييم" إلى ازدواجيّة مزدوجة تمكّن من التعبير عن التنوّع والتعدّد الديناميكيَّيْن المطلوبَيْن على المستوى الزولوجيّ-الأُنطولوجيّ وعلى المستوى الأخلاقيّ-السياسيّ، لتجاوز المركزيّة الإنسانيّة المُضَمَنة باللغة الإنسانيّة والتعامل، بشكل متساوٍ، مع حيوانيّة الإنسانيّ ومع عدم التجانس اللانهائيّ المتجسّد في الاختلاف اللانهائيّ بين الموجودات الحيّة غير البشريّة. تشكّل الازدواجيّة المزدوجة وكثيرة المعاني المتجسّدة في تسمية "باعلي حاييم" عنوانًا للعدد في صيغته العبريّة، ومنطلقًا وخطًا موجّهًا لكلّ النصوص في هذا العدد.

***

مثلما بدأت كلامي أعلاه بقصّة عن أبقار أثارت الأسئلة، يبدأ فصل المقالات في هذا العدد بقصّة عن بقرة تثير الأسئلة. يتّتبع مقال **تمار نوفيك** سيرة الحياة الفريدة لستافيت، وهي بقرة من كيبوتس كفار چلعادي، تتميّز بخصوبتها الفريدة، والتي درّت خلال عقدي حياتها وفرة هائلة من الحليب وولّدت عدد عجول فريدًا من نوعه. في الفترة الذهبيّة للاستيطان العماليّ الصهيونيّة، حصلت ستافيت على اعتراف جماهيريّ واسع النطاق، فكانت نجمة إعلاميّة، خُلّدت ذكراها في الأغاني وعلى الطوابع البريديّة، ومنحت في مهرجان حاشد سنة 1950 لقب "بطلة البطلات". تخدم حكاية ستافيت نوفيك لسببين رئيسيّين:

2 للتوسّع وتتبع أصل هذه التسمية، انظروا كاني 2019

الأول، تتتبع من خلاله العوامل البيئيّة، والثقافيّة، والتكنولوجيّة والسياسيّة التي صمّمت التدخّل الأوروبيّ في الشرق الأوسط بالقرن العشرين، وخصوصًا الاستيطان الزراعيّ اليهوديّ في فلسطين، بشكل جعل بقرة هجينة من هولندا تُمنح لقب البطلة في قرية صغيرة قريبة على الخطّ الحدوديّ بين مناطق الانتداب البريطانيّ ومناطق الانتداب الفرنسيّ. الثاني، تفترض أساسًا لفهم الحيوانات غير البشريّة ككائنات تاريخيّة، وتستخدم هذا الأساس، بعد ذلك، للتساؤل حول مجرّد إمكانية كتابة سيرة ذاتيّة لحيوان عينيّ وإعادة النظر في أسئلة منهجيّة وتأريخيّة أساسيّة.

في سنة 1934، بعد ولادة ستاڤيت بسنتين، أُحضر إلى البلاد من جنوب أفريقيا ريا، جيفت، ومايير، ثلاثة كلاب دوبرمان بنتشر، لخدمة وحدة الكلاب الأولى لشرطة الانتداب في فلسطين. يستعرض مقال بنيامين بلوم إقامة الوحدة ويفحص الجوانب القانونيّة والتاريخيّة والسوسيولوجيّة لاستخدام كلاب الأثر في فترة الانتداب. يُظهر بلوم كيف أنّ صعوبة قياس مصداقيّة الأدلة المعتمدة على حاسّة الشمّ لدى الكلاب جعلت الانتقال من قصّاصي الأثر البشر إلى كلاب الأثر فصلًا هامًا في تاريخ الانتداب في فلسطين، والذي تتجاوز تأثيراته مجال الطبّ الشرعيّ بثلاثة مفاهيم هامّة: أولًا، مكّن الاعتماد على حاسة شمّ شهود يمشون على أربع أرجل، والذين لا يمكن استجوابهم عند التحقيق، سلطات الانتداب البريطانيّ من جعل قواعد إنفاذ القانون أكثر مرونة، ومن إعادة تأسيس قوّتها في فترة الثورة ضد الاستعمار. ثانيًا، في ظلّ السياقات السلبيّة والمهدّدة للكلاب في المحظور الدينيّ والخرافات عند العرب واليهود، فرض استخدامها كوسيلة بوليسيّة رهبة للسلطات على المحليّين خارج جدران المحاكم. ثالثًا، سوّى استبدال قصّاصي الأثر البشر بالحيوانات السكّانَ الأصلانيّين لحواسهم وغرائزهم الحيوانيّة، بل ووضع كلاب الأثر المهاجرة فوقهم، وبهذا أسّس لتفوّق البريطانيّين على سكّان المكان من ناحية رمزيّة.

مثل ستاڤيت، ريا، جيفت ومايير، هاجرت الحيوانات التي يدور حولها مقال **ليرون شاني** هي أيضًا إلى إسرائيل، لكنها ليس من الثديّات التي تمشي على أربع أرجل، بل حشرات طائرة: ذباب البحر المتوسط. بصورته الطبيعيّة، الذباب هو نوع مجتاح يهدّد التوازن البيئيّ ويشكّل خطرًا على الإنتاج الزراعيّ في غور الأردن، لكنّه بصورته الصناعيّة، أي بعد إنتاجه في المختبر وتعريضه لإشعاعات مؤيّنة تؤدّي إلى إخصائه، يُشكّل وسيلة مكافحة حيويّة للآفات، ما أعطاها لقب "المرتزقة المفصليّة". من خلال فحص الطرق المختلفة التي تجعل الحدود التقليديّة بين "الطبيعة" و"الثقافة" حدودًا ضبابيّة، يستعرض شاني مجموعة من التأثيرات البيئيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، التي تضيء بضوء أنثروبولوجيّ محليّ جديد قضايا مركزيّة في دراسة العلاقات بين الإنسانيّ وغير الإنسانيّ. بالإضافة إلى ذلك، واعتمادًا على نتائج البحث الإثنوغرافيّ المتعدّد السنوات، الذي أجراه شاني في بلدات شمال وادي عربة، يقترح فحصًا نقديًا للطرق التي يرتكز فيها الاهتمام الأنثروبولوجيّ المعاصر بالحيوانات على مصطلحات مبهمة مثل "إثنوغرافيا متعدّدة الأجناس" (هل يمكن عَزْو انتماء إثنيّ لأفراد من أنواع حيوانيّة غير إنسانيّة؟) أو مصطلحات فيها تناقض داخليّ مثل "أنثروبولوجيا غير البشر" (من، أو ماذا، أو هل يمكن أن يكون الأنتروبوس-أي الإنسان- غير إنسانيّ؟)

يفحص مقال **نَعَمَه هريئيل** أيضًا ضبابيّة الحدود بين الطبيعيّ والثقافيّ وبين الإنسانيّ والحيوانيّ. حقل البحث الذي يخدم هذه المهمة هو الأدب، وللدقّة، قصّتان مركزيّتان لفرانس كافكا: **المسخ** و**تقرير إلى الأكاديمية**. تقدّم هريئيل أمثلة من خلال غريغوري سامسا، الإنسان-الحشرة، وبيتر الأحمر، القرد-الإنسان، عن كيفية تفكيك الشعريّة الحيوانيّة لكافكا بشكل راديكاليّ لفهمه حول علاقة الإنسان-الحيوان، كواحدة من النقائض الأساسيّة في ثقافة الغرب، وتكشف كونه انبناءً ثقافيًا متأسّسًا ومكرّسًا بواسطة ممارسات إقصاء وسجن وعنف بيولوجيّة-سياسيّة. تدّعي هريئيل أنّ السيولة بين الأجناس عند كافكا تتحدّى المكانة المهيّمنة للمركزيّة الإنسانيّة في الثقافة الغربيّة. بالإضافة إلى ذلك، استبق الحيّز الخياليّ لكافكا نظريات زولوجيّة-سياسيّة معاصرة وشكّل حيّزًا أدبيًا-سياسيًا ما بعد المركزيّة الإنسانيّة، خياليًا وحقيقيًا في آن.

ينتهي فصل المقالات في هذا العدد بترجمة نصٍّ شعريّ-حيوانيّ فريد من نوعه للظواهريّ (باحث في علم الظواهر-فينومينولوجيا) الأمريكيّ **ألفونسو لينجيس**. يغذّي لينجس العلاقات التكافليّة المتبادلة الموجودة بين أنواع مختلفة ومتنوّعة من الحيوانات في بيئات معيشة مختلفة، ويستعرض السياقات الجسمانيّة، والسلوكيّة، والغذائيّة والجنسيّة التي تتشكّل فيها هذه العلاقات. المسعى الأساسيّ من وراء هذه الخطوة هو الكشف عن الخطأ الجوهريّ الذي يتأسّس عليه التصوّر التشريحيّ

والفيزيولوجيّ المتعارف عليه للجسد الحيّ كوحدة منفصلة، والتي يتمّ تعريفها بواسطة منظومة محدّدة ونهائيّة من الأعضاء والوظائف البيولوجيّة. يدعونا لينجس للتحرّر من فكرة التفريد القصير النظر المؤطّرة بين الحدود الماديّة والمفاهيميّة للجسد، ومن مفاهيم الذات النحويّة، والقضائيّة والأخلاقيّة المشتقة منها. ضمن ذلك، يدعونا لأن نفهم بأنّه بما أنّ الحيوانات، بما في ذلك البشر، ليسوا أفرادًا وحيدين، بل يشبهون أكثر "الشعاب المرجانيّة" التي تصيب بالبكتيريا، والكائنات الحية الدقيقة والكائنات الأحاديّة الخلية، لا يوجد فرق بين أن تكون "إنسانيًا" أو تكون "حيوانيًا". على العكس من ذلك، حتّى أرقى وأروع الصفات الإنسانيّة وأكثر تعقيدًا تنبع مباشرة من السلوك الحيوانيّ.

في افتتاحية قسم "مقالة ونقد" من العدد الحالي ترجمة لنصٍّ يستخدم لغة شعريّة فريدة من نوعها لتقديم إجابات مفاجئة عن أسئلة فلسفيّة وتاريخيّة مرتبطة بالعلاقة بين البشر والحيوانات غير الإنسانيّة. مقالة **إيلانا بسرلو** هي عمليًا فصل كامل مُخصّص لحيوانات عينيّة لعبت أدوارًا هامّة ومفاجئة في التاريخ الثقافيّ والسياسيّ للعالم. في هذا الفصل، تحكي بسرلو حكاية العلاقة الطويلة والعميقة بين يوهان كريسوستوم وولفجنج أمداوس موتسارت وبين طائر زرزور، بشكل يردّد أصداء أسئلة نوڤيك حول إمكانية كتابة سيرة ذاتيّة حيوانيّة. تدمج بسرلو بين تحليلات موسيقيّة لعدد من الأعمال المركزيّة لموتسارت وبين أبحاث في مجال الزولوجيّا وعلم سلوك الحيوان حول دماغ وحياة الزرازير وتقترح تاريخًا بين نوعيّ قصيرًا وممتعًا، يبدأ بشراء موتسارت للزرزير عام 1784 وينتهي بالجنازة الفخمة التي نظّمها للزرزير في بيته بعد موت في حزيران 1787، والذي جاء بعد أسبوع من موت والده، الذي لم يحظَ بأي لفتة وداع.

تتناول النصوص الثلاثة التالية في هذا الجزء من العدد الوجود الحيوانيّ والعلاقات بينه وبين الوجود الإنسانيّ عبر التأمّل النقديّ في مكانة الحيوانات غير الإنسانيّة في الفنون البصريّة. تستخدم مقالة **عنات پيك** المصطلحات الأخلاقيّة الراديكاليّة للفيلسوفة والصوفيّة سيمون وايل لتحليل عدّة أفلام للفنان حن شاينبرغ، وفي مركزها الخصوصيّة الحَشَريّة والأُنطولوجيّة للجراد، في عدد كبير من المعاني الدينيّة والثقافيّة التي ارتبطت به- بدءًا من الكتّاب المقدّس ومرورًا بأفلام الكوارث المعاصرة. تُظهر پيك كيف أنّه من خلال التركيز على فرد واحد وضعيف بدلًا من سرب مهدِّد ومدمِّر، يقوم شاينبرج بالتخلّص من المنظور النفعيّ والعنيف الذي اعتدنا أن نرى من خلاله الحيوانات غير البشريّة، ويطبّق فعليًا دعوة وايل للنظر من خلال ما يسمّيه پيك "نظرة خُضَريّة": نظرة موجّهة إلى الآخر الحيوانيّ، ويعترف بمعاناته من دون استغلالها، أي من دون أن يرى فيها وسيلة لتحقيق أهداف أو موردًا قابلًا للاستغلال، ومن دون أن يعرّضه لتّطفل وتظاهر النظرة التعاطفيّة المعهودة.

نقطة انطلاق مقالة **يناي تويستر** هي الحالة الشهيرة لصور السيلفي التي صوّرها قرد المكّاك المتوّج، الذي نجح في وضع يده على كاميرا مصوّر طبيعة بريطانيّ في غابات إندونيسيا عام 2011. ظهرت الصورة الشخصيّة المبتسمة للقرد في الصحافة العالميّة وأشعلت جدلًا قضائيًا وجماهيريًا حول سؤال حقوق الملكيّة الفكريّة والعائدات والاستخدام العادل للصور. يدّعي تويستر أنّ مجرّد وجود هذا الجدل يدلّ على انهيار التقسيم الثنائيّ التقليديّ بين الطبيعيّ والحيوانيّ وبين الإنسانيّ والتكنولوجيّ، ويدعو إلى إعادة النظر إلى التصوير كعمل فريد من نوعه يدمج بين كلّ هذه الجوانب. لذلك، يستعير من النظريّة الفلسفيّة الخاصّة لويلم فلوسر (**Flusser**)، وخصوصًا من البنية التحتيّة المفاهيميّة ل"الصورة الذهنيّة"، و"المعلومات"، و"الأبارتوس"، و"البرمجيّات"، التي طوّرها في إطار النقاش حول التصوير، ويبحث الطرق التي غيّرت فيها أتمتة التصوير مفاهيم القصد والذاكرة والفعل لدينا، لدرجة أنّنا كلّنا، بعدّة معاني، "قرود مصوِّرة".

يقترح ملف الأعمال الذي جمعه القيّم **جلعاد رايخ** نظرة إضافيّة على ضبابيّة الحدود بين الحيوانيّ والإنسانيّ من خلال تسليط الضوء على ثلاثة أعمال فيديو فنيّة معاصرة تتناول موضوع قطعان الكلاب المتشرّدة في مناطق عازلة، من ناحية فنيّة ومن ناحية علم سلوك الحيوان، والتي هي أيضًا مناطق حدٍّ مدينيّة وسياسيّة: أنيكا أريكسون السويديّة التي تنطق كلابًا متشرّدة في ضواحي إسطنبول خلال فترة المظاهرة الضخمة ضد التطوير المتسارع والفاسد للمدينة، كما يوثّق ويم كتريز البلجيكيّ كلابًا بريّة في صحراء الكويت التي مزّقتها الحروب والاستغلال الصناعيّ، كذلك يتّتبع الإسرائيليّ إيتاي مروم الكلاب التي تعيش في منطقة محرمة، فيها الكثير من العنيف ولا حدود واضحة لها، بين الخليل الفلسطينيّة وكريات أربع اليهوديّة.

يدّعي رايخ أنّ هذه الأعمال الثلاثة تركّز نظرنا على أفضل صديق للإنسان وعلى الشكل الذي يرى فيه الإنسان، للكشف عن الماضي المتوحّش والعنيف المشترك بيننا، والذي لم يتوقّف عن الترصّد لنا خلف أرصفة المدن والترويض والتدجين.

الترجمة الثالثة في هذا العدد هي للمقابلة التي أجراها **جان لوك نانسي** مع **جاك دريدا** في 1988، والتي اعتبرت، كما سبق وذكرنا، أحدّ أسس الانشغال المتأخر لدريدا بما سمّاه "سؤال الحيوان". في محاولته الإجابة عن سؤال نانسي "ماذا يأتي بعد الذات؟"، ولّد الحوار بين القارئين الأكثر عمقًا ونقديّة لمارتين هايدجر في فرنسا آنذاك عددًا من الصياغات الأكثر أصليّة وجذريّة لدريدا حول العلاقة بين الإنسانيّ والحيوانيّ، ووضع البنية التحتيّة المفاهيميّة والفكريّة للكتب والحلقات الدراسيّة التي خصّصها دريدا للجوانب الأخلاقيّة والسياسيّة للفكر عن الحيوانيّة في سنواته المتأخّرة. العنف البشريّ تجاه الحيوانات غير البشريّة، وخصوصًا سؤال "الإماتة غير الجنائيّة" لهذه الحيوانات وأكل لحمها، ينال هنا لأول مرّة عند دريدا صياغات مشروحة، ما زالت في مركز النقاشات الفلسفيّة لهذا الموضوع، وكذلك في مركز النقاشات التفسيريّة لأعمال دريدا، حتّى يومنا هذا. أضيفت للمقابلة مقدّمة تفصّل ظروف تحريرها ونشرها وتضعها على المحور التاريخيّ والفلسفيّ لكتابة دريدا.

تتناول مقالة **ينيف إيتسكوفيتش** الشخصيّة، أيضًا، مسألة أكل الحيوانات غير البشريّة، لكنّه بدل أن يقدّم تفسيرات تعليميّة وادعاءات منهجيّة، يقترح إيتسكوفيتش بحث المسألة من خلال جوانبها العاطفيّة والاجتماعيّة. يستلهم إيتسكوفيتش من ماضيه الأكاديميّ من جهة، ومن سيرورة تحوّله إلى نباتيّ من جهة أخرى، ليصف التحديات الفكريّة والعاطفيّة والاجتماعيّة والوالديّة المرتبطة بمحاولة التوفيق بين التربية الفلسفيّة-الأكاديميّة وبين تصوّر أخلاقيّ شخصيّ يتأسّس على الشفقة. بكلمات إيتسكوفيتش، لا تدور المقالة حول حقوق الحيوانات أو حول ادعاءات أكاديميّة معها أو ضدّها، "بل بمجرّد إمكانية تقديم النقانق في مؤتمر أكاديميّ حول حقوق الحيوانات".

تعرض لنا **ميرا بلنبرغ** في مراجعة مثقّفة لكتابين بحثيّين صدرا حديثًا عن جامعة بنسيلفينيا. من خلال كشف دور أسئلة حيوانيّة في نصوص يهوديّة ما قبل حداثيّة، يسلّط الكتابان الضوء على العلاقة المتبادلة بين دراسات اليهوديّة ودراسات الحيوانات، التي تغذّي، في السنوات الأخيرة، هذين المجالين المعرفيّين والبحثيّين. الكتاب الأول الذي تراجعه بلنبرغ يتناول فصل "عڤودا زرا" (عمل الغرباء) في التلمود البابليّ، والآخر يتناول لكتابات جماعة "حسيدي إشكناز" في القرن ال12 وال13. تدّعي بلنبرغ أنّه بالرغم من البعد الزمنيّ والفروق في الأسلوب ومواضيع البحث بين الكتابين، إلا أنّ كليهما يقترحان تفكيرًا إبداعيًا وجريئًا وحقيقيًا وغير استعاريّ عن الحيوانات غير الإنسانيّة، ويقدّمان بهذا نموذجًا حول يمكن أن تنمو، بالذات من أجندات أيدلوجيّة ولاهوتيّة صارمة، أفكار جذريّة عن "الحيوانيّ" كفئة معرفيّة وأُنطولوجيّة وبالتالي كفئة دينيّة وأخلاقيّة.

تبحث مقالة **عفري إيلاني** "سؤال الحيوان" على خلفية الانشغال الجماهيريّ والأكاديميّ المعاصر بالأزمة المناخيّة وبعصر الأنثروبوسين، حيث يدّعي أنّ هذا العصر، الذي تحوّلت فيه أعمال الجنس البشريّ إلى القوة الأكثر تأثيرًا في الكرة الأضيّة، يضع تحديًا خاصًا للتقاليد الإنسانيّة والنقديّة لعلوم الإنسان، التي تجد صعوبة في التفكير بتدمير الكوكب والإبادة الحيوانيّة الشاملة التي نشهدها، بواسطة طرق التفكير والوصف الخاصة بها. يدّعي إيلاني أنّ التفكير الإنسانيّ لم يمرّ أبدًا بتجربة تحوّل للعالم بهذه الشموليّة. تُلزم الحقيقة بأنّ الوضع التكنولوجيّ "ما بعد الطبيعيّ" ينتج مخاطر غير مسبوقة وأشكالًا جديدة من العنف ضحاياها ليسوا من البشر فقط، بإيجاد طريقة تضاف للمحادثة فيها أيضًا أصوات الحيوانات غير البشريّة وأصوات النباتات والأرض وظواهر الطبيعة المختلفة.

في النهاية، يعود **إيتان بار-يوسف** إلى أعمال لناحوم جوتمان، والتي شغلته في السابق كفتى ولاحقًا كباحث شاب. تتناول مقالته في هذا العدد اللقاءات المعقّدة بين الفنان والحيوانات- في مستوطنة إسرائيليّة، وحديقة الحيوان في باريس وفي الغابة الأفريقيّة-ويسعى لفهم متى وفي أيّ ظروف يكون جوتمان مستعدًا إلى استبدال التأمل عن بعد في الحيوان بلمسة حقيقيّة. مثلًا، وُصِف لقاء نادر كهذا في فصل "تحت أكفّ النمر" في كتاب **في بلاد لوفنجولو ملك الزولو**: يقوم بار-يوسف، الذي سبق ووصف اللقاء الذي يقشعّر الأبدان بين جوتمان والنمر المتمدّد فوقه من منظور ما بعد استعماريّ، بالاستجابة لدعوة ألفونسو لينجيس ويقترح هنا تفسيرًا جديدًا، يشدّد على القرب الحميميّ "بين هذين الثديّين اللذين يتوحّدان تقريبًا هنا، بهذه الرسمة، في لحم واحد".

لا تختتم مقالة بار-يوسف العدد الحالي فحسب، بل السنين السبع التي تولّى فيها وظيفة المحرّر الرئيسيّ لمجلة **نظريّة ونقد**. بالإضافة إلى امتناني الشخصيّ لإيتان على التفكير المشترك والروح الطيّبة والمساعدة الكبيرة في العمل على العدد الحالي، أودّ أن أشكره باسم المؤلّفين، والمحرّرين، المترجّمات والحكّام الذين سنحت لهم فرصة العمل إلى جانبه على مدار سنوات، وقبل كلّ شيء، باسم القرّاء والقارئات الذين تمتّعوا بثمار عمله المخلص. وهذه أيضًا فرصة سانحة لأتمنّى النجاح لشاؤول ستر، المحرّر الجديد للمجلة.

مراجع

בן יהוידע, נאור, 2008. "על הרגלים מגונים ועל ברכות הגלובליזציה: סרדינים, דייגי יפו ופרויקט הדיג הישראלי, 1948–1980", **תיאוריה וביקורת** 33 (סתיו), עמ' 13–44.

דרידה, ז'ק, ואליזבת רודינסקו, 2003 [2001]. "אלימות כלפי בעלי חיים", **מה ילד יום...**, תרגם אבנר להב, תל אביב: חרגול.

וייסמן, כרמל, 2018. "פוסטהומניזם: פרומתיאוס ונקמת הדקונסטרוקציה", **תיאוריה וביקורת** 50 (חורף), עמ' 219–236.

ליבוביץ', ניצן, 2018. "ביו-פוליטיקה: תיאוריה פוליטית של היומיום", **תיאוריה וביקורת** 50 (חורף), עמ' 257–274.

ספיבק, גיאטרי צ'קרוורטי, 1995. "כלום יכולים המוכפפים לדבר?" תרגמו איה ברויאר ועדי אופיר, **תיאוריה וביקורת** 7 (חורף), עמ' 31–66.

קני, יואב, 2019. "בעל חיים", **מפתח: כתב-עת לקסיקלי למחשבה פוליטית** 14 (גיליון מיוחד, "אלה שמות': מחשבה פוליטית בעברית"), עמ' 13–26 (מקוון).

רנדריה, שאליני, 2010. "תוכניות גלובליות ועולמות-חיים מקומיים: מורשות קולוניאליות של שימור, שלילת זכויות ומשילות סביבתית בהודו הפוסט-קולוניאלית", **תיאוריה וביקורת** 37 (סתיו), עמ' 254–274.

תמיר, דן, 2018. "ברוכים הבאים לעידן האדם: מדעי הטבע, מדעי החברה ואתגרי החשיבה הסביבתית", **תיאוריה וביקורת** 50 (חורף), עמ' 237–256.

Best, Steve, Anthony J. Nocella, Richard Kahn, Carol Gigliotti, and Lisa Kemmerer, 2007. "Introducing Critical Animal Studies," *Journal for Critical Animal Studies* 5(1), pp. 4–5.

Derrida, Jacques, 2008. *The Animal that therefore I Am (More to Follow)*, trans. David Wills, New York: Fordham University Press.

Diaz, Johnny, and Aimee Ortiz, 2019. "3 Cows Swept Out to Sea by Hurricane Dorian Are Found Alive," *The New York Times*, Nov. 13.

Ritvo, Harriet, 2007. "On the Animal Turn," *Daedalus* 136(4), pp. 118–122.

Taylor, Nik, and Richard Twine, 2014. *The Rise of Critical Animal Studies: From the Margins to the Centre*, Oxon and New York: Routledge.